

# ثمرات النجاح

صالح الهطالي

قد يقول البعض بأن الإنسان له قدرات محدودة، وهذا- بطبيعة الحال- كلامٌ صحيح، ولكنه يُفهم فهمًا خاطئًا؛ إذ إنه صحيح من حيث كون الإنسان مخلوقًا من مخلوقات الله، ومخلوقات الله- بلا شك- قدراتها محدودة، غير مطلقة، مهما كانت على درجة عالية من التقدم والرقى؛ فعلم الإنسان محدود، وقدراته محدودة، وطاقاته محدودة، وإمكانياته محدودة، وأوقاته محدودة، وأمواله محدودة، وحدود أفكاره محدودة. لكن كل هذا التحديد هو بالمقارنة بصفات الله- عز وجل- التي ليس لها حدود.

أما إذا أردنا أن نأخذ هذا الإنسان- مع علمنا بمحدودية قدراته مع قدرات الله سبحانه وتعالى-، فإن طاقات هذا الإنسان وقدراته- في حدود علم البشر- غير متناهية، رغم أنها متناهية ومحدودة في علم الله. هذا يعني أن الإنسان مهما أنتج ومهما أبدع ومهما بلغ ما بلغ في سلام النجاح، فإن بإمكانه الوصول إلى مستويات أعلى وأفضل من الإنتاج والإبداع والنجاح الذي وصل إليه. هذه الميزة تجعل الإنسان دائمًا في تطوّر ورفقٍ وسموّ، ولذا فإن علينا أن لا نقنع بالواقع الذي نعيشه، والمستويات التي وصلنا إليها في المجالات المختلفة، مهما بدا لنا واقعنا الذي نعيشه مليئًا بالنجاحات الباهرة والإنجازات الفريدة.

وحقيقة الأمر، فإنه لا يوجد هناك إنسان يقنع بما لديه من علمٍ وقدره ومال وجاه ونجاحات، حتى وإن حاول أن يُوهم نفسه بذلك، ويُظهِر ذلك للآخرين. إن من طبيعة كل إنسان أنه يجب النجاح والتطوّر والترقي في آفاق هذه الحياة، وأنه في بحثٍ متواصلٍ للوصول إلى مستويات أعلى، ولتحقيق نتائج أفضل. لكن هناك أمورٌ قد تجعل بعض الناس لا يرتقون إلى المستويات الأعلى والأفضل بخطوات حثيثة، وقد تُؤلّد عندهم- ولو ظاهريًا- نوعًا من القناعة والزهد وعدم الرغبة في مواصلة السير نحو ما هو أفضل.

ولعلّ من أهم الأمور التي تقف بين الناس وبين أن يصلوا إلى مستويات أعلى وأفضل هو جهلهم بما هو موجود، وما يمكن أن يحصلوا عليه لو أنهم واصلوا السَّير وجَدُّوا في البحث. إن غالبية الناس لا يرون من هذه الحياة إلا ما هو متملُّ بين ناظرهم، حتى وإن كان بسيطًا زهيدًا حقيرًا. إنهم - في حقيقة الأمر - لا يدركون أن هناك واقعًا خيرًا من واقعهم، ولا حياة أفضل من حياتهم، ولذا تراهم راضين قانعين بما هم عليه من مستويات بسيطة زهيدة.

وهناك من الناس من يشاهدون الآخرين وهم يسـيرون بخطى حثيثة نحو النجاح، وينظرون إليهم وهم يحتفون بما يحققونه من إنجازات، ولكنك تراهم وكأنهم لا يسمعون ولا يبصرون. ولو تحدّثت مع هؤلاء عما يحققه غيرهم من نجاحات، لسمعت منهم أمرًا عجبًا؛ فتارة تراهم يتظاهرون بأنهم يتمنون لأولئك المزيد من الخير والنجاح، وتارة يتظاهرون إليك بالزهد والورع ويعتبرون ما تسميه أنت إنجازات ونجاحات ومحاولات شيطانية لإغواء الناس وصرفهم عن النجاح الحقيقي، ألا هو مرضاة الله. وأسوأ من هذين الفريقين من تسمعهم يكيلون على الناجحين والمتميزين التُّهم، ويعتبرون ما حققه أولئك لا يعدو كونه مزيفًا مغشوشًا.

إن أول خطوات النجاح هي أن تتعرّف على بعض الثمرات التي يمكن أن تجنيها عندما تصل إلى نجاحات معينة، ولندكر هنا بعضًا منها.

أولًا، يمتلك الناجح من جوانب السعادة والرضى النفسي ما لا يمكن وصفه. والسبب في ذلك يعود إلى أمورٍ كثيرة، منها أنه سيرى بأن الله قد حباه نعمًا عظيمة جليّة، ويحسب أن الله قد اختصه بهذه الميزات والحاصل الجليّة وهذه الصفات العظيمة، مما يجعل صدره منشرحًا، ويبقى مسرورًا مبتهجًا، لظنه بأن الله قد اختصه بتلك الصفات والمميزات دون غيره من الناس. لذلك، فترى هذا الناجح دومًا في غبطة وسرور لأنه يرى نفسه في معية الله، وأن الله يحرسه ويسدد خطواته ويبارك في أوقاته وأفعاله.

من جوانب السعادة والرضى النفسي التي يحسُّ بها الناجح هو شعوره بأنه يحقق أمورًا لا يحققها غيره، ويقوم بأعمال يعجز عنها أقرانه من بني جنسه، فيدرك عندئذٍ بأنه إنسان غير عادي، فهو يمتلك قدرات خاصة، حتى وإن لم يعتقد بأنها نعمٌ من الله عليه، غير أنه يشعر بقيمتها وأهميتها، وخاصة عندما يرى غيره حُلًّا منها، ولذا فهو يعتبرها من الجواهر التي تميز شخصيته عن شخصية غيره، مما تبعث في نفسه الطمأنينة والانشراح.

من ثمرات النجاح الأخرى، والتي تعتبر أيضاً من مسببات السعادة والرضى الداخلي، هو ما يلاحظه من نتائج إيجابية تتحقق على أرض الواقع، بسبب ما يقوم به هو من أعمال، والتي ينتج عنها مؤسسات ومؤسسات وجماعات من البشر تتغير حياتهم نحو الأفضل.

أيضاً، تنتج السعادة بسبب ما يسمعه هذا الإنسان من ثناء الناس له، وما يقرأه في الصحف أو يسمعه في المحطات من عبارات الشكر والثناء والتقدير؛ سواءً أكان ذلك بشكل مباشر، كأن يقرأ أو يسمع عبارات الشكر الموجهة إليه، أم كان بشكل غير مباشر، من خلال ما يراه متجسداً على أرض الواقع من تغير ملحوظ في حياة الناس، والذي ينتج عنه ذلك الشعور بالسعادة والغبطة لاستفادة الناس بما قام به أو أنتجه.

من الثمرات الأخرى للنجاح هو ما يحصل عليه من جوانب أخرى غير الثناء والشكر؛ كالمال أو المركز الاجتماعي أو العلمي أو الوظيفي، أو ما يكون من تحقُّق الأحلام والطموحات التي كان يسعى لتحقيقها. فعندما يرى الإنسان مثل هذه الأمور تتحقق له فإنه يدرك بأنه إنسانٌ استطاع أن يستثمر حياته ويغتني الفرص العديدة في هذه الحياة، على غير عادة معظم الناس الذين لا يبرحون أماكنهم في مراتب هذه الحياة.